***Dirasat*: Human and Social Sciences, Volume 49, No. 5, Supplement 1, 2022**

Deanship of Scientific Research

Dismantling Strategy in Post-Structural Criticism and Undermining Mechanisms

Farouk Soltani*

University of Msila, Algeria

Received: 13/10/2019
Revised: 26/4/2020
Accepted: 11/8/2021
Published: 30/11/2022

* *Corresponding author:*
farouk.soltani@univ-msila.dz

Citation: Soltani, F. . Dismantling Strategy in Post-Structural Criticism and Undermining Mechanisms. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *49*(5), 395–408.
https://doi.org/10.35516/hum.v49i5.3485

© 2022 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Deconstructionism that (Jacques Derrida) looked at in the 1960S is a strategy for reading and undermining texts. Deconstructionism has emerged at the postmodernism stage as an anti-revolutionary reaction against structural approaches; this is because Derrida's deconstructionism appears as an extension of post-structural criticism, which is based on releasing the texts from the mental constants and disrupting the system that is based on, and it undermines the cultural patterns on which modern literary discourse is based on, which makes its meaning has multiple and different indications from reading to another and from one context to another. Deconstructionism is based on her study of literary texts on a group of undermining mechanisms which try to talk about in this article titled: dismantling strategy in post-structural criticism and undermining mechanisms.

Keywords: Deconstructionism, Arab criticism, dismantling mechanisms

استراتيجية التفكيك في نقد ما بعد البنيوية وآليات التقويض

*فاروق سلطاني**

جامعة المسيلة، الجزائر

ملخّص

تمثل التفكيكية التي نظّر إليها (جاك دريدا) في ستينيات القرن الماضي استراتيجية لقراءة النصوص وتقويضها، وقد ظهرت التفكيكية في مرحلة ما بعد الحداثة كردّة فعل مناهضة وثائرة على المناهج البنيوية، ذلك أن التفكيكية لدى (جاك دريدا) تتمظهر كامتداد لنقد ما بعد البنيوية الذي يقوم على تحرير النص من الثوابت العقلية وخلخلة النظام الذي يقوم عليه، وهي تقوض الأنساق الثقافية التي تقوم عليها النصوص الحداثية، مما يجعل معناه يحتمل دلالة متعددة ومختلفة من قراءة لأخرى ومن سياق لآخر؛ حيث ترتكز التفكيكية في دراستها للنصوص الأدبية على جملة من الآليات التقويضية، التي سنتناولها من خلال هذا المقال الموسوم باستراتيجية التفكيك في نقد ما بعد البنيوية وآليات التقويض.

الكلمات الدالة: التفكيكية، في النقد الغربي/ العربي، آليات التفكيك.

المقدمة:

انفتح النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة على جملة من النظريات النقدية الجديدة، التي تختلف في الأسس والمبادئ النقدية عما كان سائدا في النقد الحداثي (السياقي/ النسقي)، حيث توجّه النقد في مرحلة ما بعد البنيوية إلى الانفتاح على القارئ الذي همّشته المناهج الحداثية السابقة، فصار للقارئ دور في قراءة النصوص وتأويل معناها، الذي يختلف من قراءة لأخرى، لأن القارئ في مرحلة ما بعد الحداثة ينظر إلى النص كنتاج إبداعي غير مطلق الدلالة، ما يجعله يستدعي قراءات جديدة، تفكك بنياته، وتقوض أنساقه الثقافية، حتى تعطيه معنا مختلفا ومتجددا مع كل قراءة جديدة للنص في حالة تبلور مبدأ لانهائية الدلالة الذي يهدف إليه نقد ما بعد البنيوية.

تأتي مرحلة ما بعد الحداثة كسياق معرفي له خصوصيته النقدية، التي تمتزج فيها المظاهر الاجتماعية بالمظاهر الثقافية إلى درجة لا يمكن الفصل بينها، حيث تعرف هذه المرحلة أنها "مجموع الظروف والشروط المختلفة والمتعدّدة التي تختلط فيها المظاهر الاجتماعية بالمظاهر الثقافية، فلا يمكن التمييز بين ما هو اجتماعي وما هو ثقافي فتنهار المسافة بين النظرية وموضوعها، ويتعذّر الفصل بين النظرية التأويليّة والواقع الاجتماعي الذي تحاول النظرية إدراكه وتوصيفه" (الرويلي ميغان، البازغي سعد، 2002، ص 224)

يتجسد نقد ما بعد البنيوية كمصطلح يؤرّخ للنظريات النقدية التي ظهرت في مرحلة ما بعد الحداثة، وهو يرتكز على جملة من المبادئ النقدية التي لها مرجعيتها الابستيمولوجية المستمدة من النظريات الفلسفية المتراكمة عبر تاريخ الفكر الإنساني، حيث يتوجّه النقد في هذه المرحلة إلى الثورة على مقولات الفكر الحداثي، التي أعلت من نسق التمركز المنطقي في النص، ويهدف نقد ما بعد البنيوية إلى إرساء مبادئ نقدية جديدة قائمة على التشتيت والنقض والتشظي الدلالي، لأن مرحلة نقد ما بعد البنيوية جاءت "لتقلب مقولات الحداثة وفرضياتها تماما، ليس هنالك ثابت يحكم المتحوّل، وليس ثمة عقل يفسّر تفسيرا متحيّزا أوجه النشاط الثقافي البشري، كما لا وجود لثقافة عالية نخبوية وأخرى دونية جماهيرية، بل كل ما هنالك هو تشكيل مستمر لا يمكن تبريره أو تفسيره بالإحالة على نموذج متعال" (الرويلي ميغان، البازغي سعد، 2002، صفحة 226)

يعدّ نقد ما بعد البنيوية منعرجا حاسما في التاريخ النقدي، لكونه ظهر في ظروف خاصة، إذ يتزامن ظهوره مع مرحلة النضج والازدهار التي ميّزت النقد البنيوي، وهو ما يجعل مرحلة نقد ما بعد البنيوية "التي ظهرت في منتصف ستينيات القرن الماضي أي في عز الرواج البنيوي، ليست قطيعة في المسار البنيوي، إنما هي في أقصى تقدير نقطة انعطاف بالمفهوم الرياضي في منحى الدالة البنيوية، تعبّر عن مراجعة البنيوية لنفسها وتأمّلها في مسار تطورها" (وغليسي يوسف، 2010، ص 168)

هذه الظروف جعلت نقد ما بعد البنيوية نقدا يحمل معالم الثورة والتمرد على النقد البنيوي، وهي مفارقة نقدية صاغت لنقد ما بعد البنيوية خصوصيته النقدية التي تميزه عن باقي النظريات النقدية الحداثية، وقد تمثلت تفكيكية (جاك دريدا) كأهم نظريات نقد ما بعد البنيوية، بعدّها تثور ضد المناهج البنيوية ومبادئها العقلية.

نسعى في هذا المقال النقدي إلى البحث عن الأسس الفكرية التي تأسست عليها استراتيجية التفكيك في نقد ما بعد (البنيوية/ الحداثة)، كما نسعى فيه إلى تبيان المبادئ النقدية التي تقوم عليها التفكيكية في دراسة النصوص، محاولين الإجابة عن التساؤلات التالية:

هل يمكن أن تكون استراتيجية التفكيك نظرية كاملة يمكن الاستناد عليها في دراسة النص أدبي؟.

أم أنها من خلال دراستها للنص الأدبي تسعى إلى تغطية النقائص النقدية التي تفتقدها في أسسها النظرية؟.

ما هي الآليات النقدية التي تعتمد عليها التفكيكية في تحليل النص؟

1 رصد مفاهيمي لمصطلح التفكيكية:

11 مفهوم التفكيكية لغة:

تتناول المعاجم اللغوية العربية مفهوم "التفكيك" بدلالة مختلفة من موضع لآخر، حيث جاء في معجم "لسان العرب" (لابن منظور) في مادة "فكك" أن مفهوم التفكيك يحمل دلالة: الفصل والخلاص، يقول: "فَكَكَ اللَّيْثَ، يُقَالُ فَكَكْتُ الشَّيْءَ فَانْفَكَ بِمَنْزِلَةِ الكِتَابِ المَخْتُوم: تَفَكَكَ خَاتَمُهُ كَمَا تَفَكَكَ الحَنْكَيْنِ: فَصَلَ بَيْنَهُمَا، وَفَكَكْتُ الشَّيْءَ: خَلَصْتُهُ، وَكُلُّ مُشْتَبِكَيْنِ فَصَلْتُهُمَا: فَكَكْتُهُمَا، وَكَذَلِكَ التَفْكِيكُ اِبْنُ سَيِّدِهِ فَكَ الشَّيْءَ يَفُكُهُ فَكًا، فَانْفَكَ: فَصَلَهُ، وَفَكَ الرَّهْنَ يَفُكُهُ فَكًا وَفَتَكَهُ، بِمَعْنَى: خَلَصَهُ" (ابن منظور، 1999، مادة فكك، ص 305)

يحمل التفكيك في موضع آخر دلالة الزوال والانفراج، يقول (ابن منظور): "يفك فيتفكك أي يتزايل وينفرج" (ابن منظور، 1999، مادة فكك، ص 306)

وردت لفظة التفكيك في "القاموس المحيط" (للفيروز آبادي) في مادة (فكك)، وقد جاءت دلالة التفكيك في زمن الماضي بمعنى: الفصل والخلاص، يقول (الفيروز آبادي): "فَكَّهُ: فَصَلَهُ، وَالرَّهْنُ فَكَّ وَفُكُوكًا: خَلَصَهُ" (آبادي الفيروز مجد الدين، 2008، مادة فكك، ص 1260)

في حين أن دلالة التفكيك في الزمن المضارع جاءت بمعنى: التلاشي، إذا كان الشيء غير متماسك، يقول (الفيروز آبادي): "وَيَتَفَكَّكُ: إِذَا لَمْ يَكُنْ بِهِ تَمَاسُكٌ" (آبادي الفيروز مجد الدين، 2008، مادة فكك، ص 1261)

وردت لفظة التفكيك في "المعجم الوسيط" في (باب الفاء)، وقد حملت دلالته في الزمن الماضي معنى الفصل والاستبدال بين الشيئين: "فَكَّ الشَّيْءَ فَكًّا: فَصَلَ أَجْزَاءَهُ، وَيُقَالُ: فَكَّكَ الآَلَةَ وَنَحْوَهَا، وَفَكَّ النُّقُودَ: اِسْتَبْدَلَ قِطْعَةً كَبِيرَةً مِنْهَا بِقِطَعٍ صَغِيرَةٍ" (مجمع اللغة العربية، 2005، ص 698)

أما دلالة التفكيك في الزمن المضارع فوردت بمعنى الضعف والاضطراب: "تَفَكَّكَ: اِنْفَكَ: وَيُقَالُ تَفَكَّكَتْ شَخْصِيَةُ فُلاَنٍ: ضَعُفَتْ، وَفُلاَنٌ يَتَفَكَّكُ فِي مَشْيِهِ وَكَلاَمِهِ: يَضْطَرِبُ فِيهِمَا" (مجمع اللغة العربية، 2005، ص 698)

نتوصل إلى أن دلالة التفكيك من الناحية اللغوية كما وردت في المعاجم تدل على الفصل والضعف والتلاشي، مما يعني أن التفكيك ضد الوحدة النصية، لأنه يعمل على تشتيت تركيبه وخلخلة نظامه، كما أنه يأخذ دلالة جديدة كلما تغير السياق الذي وظفت فيه اللفظة.

تأخذ لفظة التفكيك في "قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر" دلالة فعل القراءة المتجددة للنص، التي يأخذ فيها القارئ دورا في إعادة بناء معنا جديد للنص، بحيث يكون هذا المعنى قابلا للتجديد من قراءة لأخرى، ومن سياق لآخر، وبهذا المفهوم يتطلب "تفكيك النص Déconstruire du texte قراءة النص الأدبي قراءة واسعة، قراءة متغيرة حسب المرحلة التاريخية والثقافية التي يعيشها القارئ، ومعنى النص وفق هذا المفهوم هو معنى لا نهائي، معنى مفتوح يرتبط بالزمن أو التاريخ الذي يعيشه القارئ، ووظيفة القارئ هنا ليست اكتشاف النص بل إعادة كتابته" (حجازي سمير سعيد، 2001، ص 46)

كما تتحدد دلالة التفكيك في "معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة" بأنه عملية نقدية معقدة، يقوم خلالها القارئ برفض الأفكار اليقينية التي يرتكز عليها النص، ويشك فيها جملة وتفصيلا، ثم يخضع النص للتشريح من أجل استنباط الأفكار المتناقضة فيه، حيث تتم هذه العملية عبر ثلاثة مراحل متداخلة، تتجلى كالتالي:

"1) يقوم التفكيك عند (دريدا) على تحليل سيميولوجي؛ لتكوين أيديولوجي موروث.

2) تجزؤ لعناصر النص إلى وحداته الصغرى والكبرى.

3) عملية فهم لتركيب العمل الأدبي" (علوش سعيد، 1985، ص 169)

نستنتج بأن التفكيكية تقوم على استراتيجية متداخلة المراحل في أثناء قراءة النص، وهي بهذه العملية تعيد بعث مكانة القارئ في النقد الأدبي، بعدما همشته المناهج النقدية الحداثية، إذ شجعت التفكيكية القارئ على ممارسة فعل القراءة المتجددة للنص، بحيث لا يقتصر دوره على قراءة النص، واكتشاف معانيه، بل صار دوره قائما على إعادة بناء معنا جديد للنص، يكون قابلا للتغير مع كل قراءة جديدة، ويتغير بتغير سياق القراءة من فترة تاريخية إلى أخرى.

12مفهوم التفكيكية اصطلاحا:

يثير مصطلح التفكيك (Déconstruction) جدلا واسعا في الساحة النقدية؛ لكونه مصطلحا لا يثبت على مقابل له يمكن أن يتمثّل دلالته الإيجابية التي نظر لها (جاك دريدا)، إذ يظل "مفهوم التفكيك وخصوصا أسلوبه معرضين بطبيعتهما إلى إساءة الفهم وإلى الإنكار" (كريستوفر نوريس، 1989، ص 128)، لأن النقاد عند تلقيهم الأولي لمصطلح التفكيك؛ يتشكل لديهم مفهوم سلبي عن التفكيك، فيرتهن موقفهم من المصطلح إلى الجدل والإنكار، مما يضطرهم إلى الاجتهاد لإيجاد مصطلحات يمكن أن تلامس دلالة التفكيك التي نظر لها (جاك دريدا)، وهو وضع نقدي يصاحبه الغموض والجدل حول ماهية مصطلح التفكيك.

ظهرت التفكيكية كاستراتيجية لقراءة النصوص وتقويضها في مرحلة ما بعد الحداثة (Post-modernisme)، وتمثلت أفكارها الثائرة على النقد البنيوي، وهي تمثل منعرجا حاسما في تاريخ نقد ما بعد البنيوية (Post-structuralisme)، حيث اجتهد النقاد في ترجمة المصطلح، وسعوا لإيجاد مصطلح مقابل للتفكيكية وفق دلالتها التي وضعها (جاك دريدا)، وقد خلص النقاد إلى الإقرار بصعوبة تحقيق ذلك مخافة الوقوع في فخ الدلالة السلبية للمصطلح، التي من شأنها أن تؤثّر على استيعاب الدلالة الإيجابية للمصطلح، وفي هذا السياق يقول (دريدا): "عثرت عليها في قاموس "ليتيره lettré" وكانت مؤدياتها النحوية واللغوية والبلاغية مربوطة فيه بأداء مكائني، وبدا لي هذا الالتقاء مفرحا، وشديد التلاؤم مع ما كنت أريد على الأقل أن ألّح إليه، سمح لي باقتباس بعض فقرات من ليتريه، Déconstruction/ فعل التفكيك/ مفردة نحوية، تشويش بناء كلمات عبارة، لومار Lemare... Déconstruire: تفكيك الأجزاء كل موحد، تفكيك قطع ماكنة لنقلها إلى مكان آخر، مصطلح نحوي تفكيك الأبيات وإحالتها شبيهة بالنثر عن طريق إلغاء الوزن، في طريقة الجمل ما قبل المفهومية، يبدأ أيضا بالترجمة، وتكمن إحدى مزاياها في عدم الاحتياج للتفكيك أبدا، لومار، se Déconstruire: التفكك والتخلع، فقدان الشيء بنيته" (ينظر: دريدا جاك، 2000، ص 58)

إن (جاك دريدا) من خلال هذا القول يبيّن مدى استحالة الوصول لمصطلح مقابل للتفكيكية يمكنه أن يتمثّل الدلالة الحقيقية التي تقوم عليها التفكيكية؛ وهو ما يجعلها مصطلحا غامضا، يشوبه كثير من اللبس.

ينفي (جاك دريدا) نفيا قاطعا أن يكون لمفهوم التفكيك دلالة سلبية كما يتصورها المتلقي، عندما يتلقى المتلقي اللفظة لأول مرة، إذ يؤكد (دريدا) بأن للتفكيك مفهوما إيجابيا؛ فهو يرى بأن التفكيك "هو حركة تأكيد نعم أصلية oui originaire ليست ساذجة، أو دوغمائية أو إذعان

أعمى، متفائلة، واثقة، إيجابية" (معرف مصطفى، 2014، ص 135)

يرى الناقد (يوسف وغليسي) بأن مفهوم التفكيكية يتحدد من خلال مقابلها الأجنبي بلفظ (Déconstruction)، حيث يظهر بأنه لفظ مركب من أربع أجزاء، يحمل كل جزء لغوي فيه دلالة معينة، تتجلى كالتالي:

"1 السابقة (dé): وهي سابقة لاتينية تتصدر كثيرا من التراكيب الفرنسية، بمعنى النفي والانتهاء والقطع والتوقيف والتفكيك والنقض.

2 كلمة (con): وهي كلمة مرادفة لسوابق أخرى (com،col ،co)، تتصدر كلمات كثيرة، لا تخرج معانيها عن الربط والترابط والمعية (avec).

3 كلمة (struct): بمعنى البناء.

4 اللاحقة (ion): وهي لاحقة مماثلة للاحقة (tion)، تدل كلتاهما على شكل من أشكال النشاط والحركة (actoin).

وبتركيب دلالات هذه القطع المجزأة، تدل كلمة (déconstruction) على (حركة نقض ترابط البناء)" (وغليسي يوسف، 2010، ص 188).

إن مصطلح التفكيكية ينطوي على دال مركب وغامض الدلالة، لذلك يقر (جاك دريدا) بأنه من غير الممكن إيجاد مصطلح يترجم مفهوم التفكيكية بالرؤية التي تشكلت لديه، حينما يعدُّ التفكيك استراتيجية لقراءة النصوص وتقويضها.

يستمر الجدل بين النقاد حول ماهية التفكيكية بين كونها منهجا أو نقدا؛ وهي القضية التي يفصل فيها (جاك دريدا) حينما يعترف بأنها ليست منهجا ولا نقدا ولا حتى عملية أو فعلا، يقول: "ليس التفكيك منهجا ولا يمكن تحويله إلى منهج، خصوصا إذا ما أكدنا في هذه المفردة على الدلالة الإجرائية أو التقنية، صحيح أنّه في بعض الأوساط الجامعية الثقافية... ليس يكفي القول إن التفكيك لا يمكن أن يختزل أدواته المنهجية إلى مجموعة من القواعد والإجراءات القابلة للنقل، ليس يكفي القول إن كل حدث تفكيكي يظل فريدا أو بأية حال متوقعا، بأقرب ما يمكن، من شيء أو لغة خاصة أو توقيع، يجب أن نحدّد أيضا أنّ التفكيك ليس حتى فعلا أو عملية" (دريدا جاك، 2000، ص 61)

الواضح أن (جاك دريدا) من خلال هذا الإفصاح أنه يقدم حكما فاصلا يزيل به كل لبس يتمحور حول ماهية التفكيكية؛ فهو يتجاوز ذلك الغموض المفاهيمي بجعل التفكيكية استراتيجية لقراءة النصوص وتقويضها؛ وهي أكثر من كونها عملية نقدية؛ لأنّها في نظره تحمل خاصية الإنجازية لا التقريرية، يقول: "وعندما أقول أكثر من نقدية فإنّني أعني التفكيكية، لكن لماذا لم أعبّر عن ذلك مباشرة، دون ضياع للوقت؟ إنّني أدعو إلى الحق في التفكيك كحق لا مشروط في طرح أسئلة نقدية، ليس فقط على تاريخ مفهوم الإنسان، بل أيضا على تاريخ مفهوم النقد ذاته وعلى صيغة وسلطة السؤال، وعلى الصيغة التساؤلية للفكر، وهو ما يقتضي الحق في القيام به تأكيديا affirmativement وإنجازيا" (دريدا جاك، 2013، ص 106)

لذلك فالتفكيكية عند (جاك دريدا) تأتى كحق مشروع في طرح لا متناهٍ من الأسئلة؛ التي من شأنها أن تفك شفرة النص، وتخلخل نظامه، وتساعد في تقويضه على نحو إنجازي مجسّد كمقاربة للنقض أكثر من كونها عملية نقدية أو تنظيرية.

يؤكد "جاك دريدا" بأن التفكيكية في ماهيتها لا يمكن لها أن تكون نقدا؛ بل هي تتجاوزه على نحو أكبر، وهكذا فهي لم تأت كمقاربة تختص بدراسة الأدب، بقدر ما أتت كاستراتيجية لقراءة الفكر الغربي وتقويضه، لما تنتهجه من أسلوب تقويضي، يقوم على الشك والتشتيت والنقض وتشظي الدلالة، حيث يؤكد (هيليز ميللر) هذا الطرح في إقراره بأن الأعمال التفكيكية (لجاك دريدا) هي بالأساس "نظرية وفلسفية وأن النسيج الأسلوبي لأعماله لا يمكن أن يوصف بالأدبي، فحافزه ونقطة انطلاقه ليس بكل تأكيد الأدب وإنما الفكر الفلسفي" (دريدا جاك، 2008، ص 16)

يتفق الناقد (ديفيد بشبندر) مع رأي (جاك دريدا) الذي يرفض فيه أن تكون التفكيكية مقاربة نقدية للأدب، في حين أنه يقر بأن التفكيكية مقاربة فلسفية مناقضة للمبادئ العقلية التي قام عليها النقد الحداثي، وهي ليست بديلا للبنيوية بمجدر أنها ظهرت حديثا في نقد ما بعد البنيوية، أو لأنها تقارب النص مقاربة داخلية مثلما تفعل البنيوية مع اختلاف متضاد في المبادئ النقدية بين النظريتين، وفي هذا الشأن يعطي الناقد (ديفيد بشبندر) تعريفا للتفكيك فيقول: "إن التفكيك deconstruction بالمعنى الحقيقي، مقاربة فلسفية للنصوص أكثر مما هي أدبية، إنه نظرية بعد البنيوية Post-Structuralist، ولا تدل (بعد Post) على أن التفكيك يحل محل البنيوية بعدّه نظرية أحدث زمنيا، ولكنها تدل بالأحرى على أنه يعتمد على البنيوية كنظام تحليلي سابق" (ديفيد بشبندر، 1996، ص 75)

تتجلى التفكيكية عند (جاك دريدا) كاستراتيجية لقراءة النص وتقويضه؛ وهي تهدف إلى اكتشاف ما يحمله النص من تناقض بين المعنى الصريح والمضمر؛ وهي تحمل معالم التمرّد على المفاهيم التقليدية للفكر الغربي، وتثور على الثوابت العقلية (العقل، اللوغوس، اللغة) التي قامت عليها البنيوية، وبهذا المفهوم تصبح التفكيكية "طريقة لفضح الأوهام والأخطاء الشائعة واكتشاف المتناقضات في الأفكار والمعاني والاتجاهات والمعتقدات، وتعرية الأوهام الإيديولوجية، وتشغيلها أداة للحوار والاختلاف البنّاء، واستعمالها آلية للحفر والنّبش والتّنقيب في النصوص والخطابات وآلية منهجية لإعادة قراءة التاريخ، وقراءة الهامش في تقابله مع المركز، وهي بمثابة نوع من سيسيولوجيا الحياة اليومية التي تزخر بالدلالات والعلامات" (حمداوي جميل، 2011، ص 106)

إن المنطلق النقدي الذي تنطلق منه التفكيكية في قراءة النص وتقويضه يبدأ من داخل النص ذاته؛ فهي في مقاربتها للنص لا تهتم بالسياقات الخارج نصية؛ التي أسهمت في تشكل النص في صورته النهائية؛ بل إن التفكيكية تقارب النص مقاربة داخلية، تستهلها بالشك في المرتكزات المنطقية

التي يقوم عليها، ثم تقوم بخلخلة نظامه النصي، حتى تلحق به التشتيت والتصدع في البنيات الهشة فيه، مما يسمح بإيجاد "البنية غير المتجانسة للنص، والعثور على توترات أو تناقضات داخلية يقرأ النص من خلالها نفسه، ويفك ذاته se déconstruit في النص نفسه قوى متنافرة تأتي لتقويضه، ويكون على استراتيجية التفكيك أن تعمل على إبرازها" (بنعبد العالي عبد السلام، 1991، ص 76)

إن التفكيكية هي استراتيجية نقدية لقراءة النصوص وتقويضها، ويتجلى ذلك في تمردها على الفكر الحداثي الغربي، الذي كرس من مركزية الثنائيات (الذات/الآخر، الرجل/المرأة، الصوت/ الكتابة، المركز/الهامش)، حيث تثور التفكيكية على هذه المرتكزات المنطقية، وتعمل على هدمها داخل النص، وبهذا يصبح التفكيك "عملية تشريح للنص من أجل هدم المقولات الثابتة، وتقويض البنيات الثنائية والتشكيك في فعاليتها الفلسفية والإجرائية" (حمداوي جميل، 2011، ص 32)

يتضح من خلال هذا بأن عملية تفكيك النص تتم عن طريق الكشف عن التناقض الحاصل بين المعنى المصرّح به والمعنى المضمر عنه في النص، إذ يرى (جاك دريدا) بأن المعنى الظاهر في النص ليس هو المعنى الحقيقي؛ بل المعنى الحقيقي يكمن فيما يخفيه النص من معاني مضمرة، تتناقض في دلالتها مع المعنى الظاهر منه، ويقر (جاك دريدا) بأن عملية توليد المعنى المضمر للنص تظل متجددة مع كل قراءة جديدة للنص، وأن النص الحقيقي لديه هو النص الذي يعطينا معنى لا نهائي باستمرار.

2 المرجعيات الفلسفية التي أسست لاستراتيجية التفكيك:

21 تأثر التفكيكية في أفكار (ميشال فوكو، هايدجر، ديكارت):

يرى النقاد بأنّ التفكيكية استمدت مرجعياتها النقدية من فلسفة الشك التي أسس لها كل من (هايدغر وميشال فوكو وديكارت) في سياقات مختلفة؛ حيث يرتبط مردّ هذه المثاقفة النقدية إلى ظهور التفكيكية في سياق عصر الشك الديكارتي، الذي ساد أوربا صرحا من الزمن، مما يجعل علاقة التأثير والتأثر بين النظريتين موجودة فعلا، لأنه "من الناحية التاريخية، لا نستطيع دراسة التفكيك في عزلة عن شك العصر، لقد ظهرت التفكيكية في بداية دورة جديدة لثنائية اليقين والشك" (حمودة عبد العزيز، 1998، ص 260)

كان لهذا التواتر السياقي دور في انغماس التفكيكية من بعض مبادئ فلسفة الشك التي نظر لها هؤلاء الفلاسفة، حيث استطاع (جاك دريدا) أن يتفاعل مع أفكار (ميشال فوكو، وهايدجر وديكارت وآخرين)، إلى أن أفاد منها، وسعى إلى تكييفها مع تفكيكيته، وفي هذا الشأن يقول: "ومن بين ما أدين به (لفوكو)، كونه جعلني بفضل كتابه الهائل الذي مكّنني من تجاوز قراءتي الساذجة للتأملات، أستشعر إلى أي حد يستطيع الفعل الفلسفي، أن يكون ديكارتيا في ماهيته ومشروعه وأن يترسّخ كذاكرة ديكارتية، إذا ما فهمنا هذه الأخيرة كما أقرها (ديكارت) نفسه، أي كما حاولت توضيحه" (حمودة عبد العزيز، 1998، ص 67)

إن تأثر (جاك دريدا) وتفاعله مع أفكار (ميشال فوكو) ساعده على أن يرتقي بالفكر النقدي من مرحلة السذاجة إلى مرحلة التفكير العميق، وهو ما جسده في ما بعد بقراءته التقويضية للفكر الغربي.

يعترف (جاك دريدا) بتأثّره في أفكار (هايدجر)؛ لكونه فيلسوفا نظر لنهاية الفكر الميتافيزيقي في الفلسفة الغربية، وأسهم في التأسيس للفكر الوجودي، يقول (جاك دريدا): "إن ديني (لهايدجر) هو من الكبر، بحيث سيصعب أن نقوم هنا بجرده والتحدّث عنه بمفردات تقييمية أو كمية، أوجز المسألة بالقول إنّه هو من قرع قواميس نهاية الميتافيزيقا، وعلّمنا أن نسلك معها سلوكا استراتيجيا يقوم بالتموضع داخل الظاهرة وتوجيه ضربات متوالية لها من الداخل، أي أن نقطع شوطا من الميتافيزيقا، وأن نطرح عليها أسئلة تظهر أمامها من تلقاء نفسها عجزها عن الإجابة، وتفصح عن تناقضها الجواني" (دريدا جاك، 2000، ص 47)

يقر (جاك دريدا) بأن المنطلق الأساسي الذي ألهمه في التنظير لتفكيكيته هي الأفكار الفلسفية الوجودية التي وضعها (هايدجر)، حيث تتجلى معالم هذا التأثر في القراءة التقويضية، التي تنتهجها التفكيكية في نقض النص، وهي استراتيجية مستوحاة من منهجيّة (هايدجر) ذاته، فهذا التأثر هو إقرار بأن "أشدّ استراتيجيات (دريدا) أصالة في تحقيق تعليقه للمفاهيم وتعطيلها، إنما تنبع مباشرة من ممارسة (هايدجر) نفسه للنصوص، ويطلق على هذه الطريقة اسم وضع الكلمات تحت المحور الذي يقولون له بالفرنسية Sons Return، وتتمثل دلالته في عبور تلك الكلمات من خلال النص، ثم تحذير القارئ بعد ذلك حتى لا يأخذ تلك الكلمات أو يقبلها بقيمتها السطحية الفلسفية" (كريستوفر نوريس، 1989، ص 152)

ولم يتوقّف تأثّر (جاك دريدا) في فلسفة (هايدجر) عند هذا المطاف فقط، فقد توسّع إلى درجة تمثّله لبعض المصطلحات التي تقوم عليها التفكيكية، وهي بالأساس مصطلحات أوجدها (هايدجر)، ومثال ذلك: مصطلحا (النقض destruction) و(التفكيك Déconstruction)، فيظهر بأن "مصطلح التفكيك الذي صكّه (دريدا) لترجمة عبارة هايدجر في كتابه الوجود والزمان 1927م، لا يقصد به كما يقول (ديكومب) الهدم والتخريب، وإنّما إعادة ترتيب عناصر الخطاب على طريقة أهل النحو؟ ذلك أن مقطع النفي de يراد به هنا خلخلة تركيب الجملة لبيان الطابع الاتفاقي لبحث العلاقة بين التركيب اللغوي ومرجعيته... ولعل (ديكومب) يقصد ما آل إليه هذا المفهوم على يد (دريدا) من معاني نقض اللوغوس وإبراز التناقضات الخفية التي يقوم عليها خطاب الأنطولوجيا الغربية" (عطية أحمد عبد الحليم، 2010، ص 188-189)

فعلى الرغم من التناص الحاصل بين المصطلحين عند الناقدين؛ إلا أنّ هنالك بعض الاختلاف الذي يفصل في الماهية التي تقوم عليها التفكيكية عند كل من (جاك دريدا) و (هايدجر)، ذلك أن التفكيكية عند (جاك دريدا) لا تحمل دلالة الهدم والتخريب بالمعنى السلبي، وإنّما هي تعني نقض النص وإعادة تركيبه بدلالة جديدة لا نهائية.

يظهر تأثر (جاك دريدا) في فلسفة (هايدجر) في اقتباسه لبعض المصطلحات مثل: استخدامه لمصطلح التدمير، وهو مصطلح محوري في فلسفة (هايدجر)، على الرغم من أن (جاك دريدا) استبدل هذا المصطلح في الأخير بمصطلح التفكيك؛ إلا أن مستوى التداخل بينهما ظهر في "استخدام (دريدا) في الطبعة الفرنسية الأولى لكتابه de la grammatologie لكلمة التدمير المحورية في فلسفة (هايدجر) بدلا من كلمة التفكيك التي تحوّل إليها دريدا فيما بعد، والواقع أن بعض الأفكار الأساسية لتفكيك (دريدا) مثل المعرفة واللغة، الحضور والغياب، لا نهائية الدلالة، رفض الثوابت والقراءات المتعددة، وغياب المركز الثابت للمعرفة، والتناص، وفوق هذا وذاك مفهوم التدمير ذاته، تتطابق مع فلسفة (هايدجر) التأويلية بصورة تتخطى حدود المصادفة أو تواتر الفكر" (حمودة عبد العزيز، 1998، ص 263)

إنّه لمن المهم تبيان المرجعية الفلسفية التي استمدت منها تفكيكية (جاك دريدا) بعض معالمها النقدية، وهذا التأصيل جد مهم في تبيان أنّ لتفكيكية (دريدا) مرجعياتها الفلسفية التي قامت عليها، حتى وصلت لما هي عليه الآن، فعلى الرغم من قيمة هذا الطرح الذي يحاول ربط التفكيكية عند (جاك دريدا) بأفكار (وميشال فوكو، هايدجر، وديكارت)؛ إلا أنّ هذا الطرح لا يخلو من المغالاة؛ لكونه لا يعد أن يكون مجرّد تفاعل فلسفي وفكري يرتكز على عاملي التأثّر والتأثير بين النظريتين، وهذا لا يعني بأن تأثّر التفكيكية في تلك الفلسفات السابقة هو ظاهرة ثقافية سلبية، تستدعي إذابة التفكيكية ومبادئها النقدية تحت لواء الفلسفات الألمانية، فلو كان الأمر كذلك، فما هو المانع من أن تصبح التفكيكية جزأ من الفلسفة الألمانية؟، كذلك فما هو العامل المميز إذن في أن تنفرد التفكيكية كاستراتيجية لقراءة النصوص وتقويضها عما تقدّمه الفلسفات الألمانية السابقة؟.

إن هذا الطرح المنطقي يثبت وجود فوارق منهجية بين التفكيكية والفلسفات الأخرى، التي كان (جاك دريدا) متأثرا فيها، وفي هذا الشأن يكشف (إدوارد سعيد) عن بعض الفوارق النقدية التي تبين اختلاف التفكيكية عن أفكار (هايدجر، وفوكو، وديكارت) من ناحية المبادئ النقدية والمنهجية عند مقاربة النص تفكيكيا، يقول: "إنّ (جاك دريدا) لا يولي اهتمامه إلا لقراءة النص وحسب، وأن النص ليس أكثر هما فيه بالنسبة للقارئ، فلما كان (دريدا) يرى أهمية النص تكمن في وضعه الحقيقي بما معناه بمنتهى البساطة أنه عنصر نصي دون أي أساس في أرض الواقع... فإن (فوكو) يرى أن أهمية النص تستقر في عنصر قوة مفاده استحقاق جازم للنص في أرض الواقع، حتى لو كانت تلك القوة خفية أو ضمنية وهكذا فإن نقد (دريدا) يدخلنا في قلب النص، في حين أن نقد (فوكو) يدخل بنا في النص ويخرجنا منه" (عطية أحمد عبد الحليم، 2010، ص 140)

يرى بعض النقاد بأن تأثّر التفكيكية في أفكار (فوكو، هايدجر، ديكارت) هو أمر منطقي، ناجم عن المثاقفة النقدية بين النظريتين؛ ولكنّه في الوقت نفسه لا يجب أن يحمل هذا التأثر مفهوم التبعية النقدية المطلقة؛ التي من شأنها القضاء على خصوصية التفكيك لصالح باقي الفلسفات خاصة منها فلسفة (هايدجر)، وفي هذا الشأن يكشف الناقد (محمد علي الكردي) بأن مصطلح النقض من المصطلحات التي مستها المثاقفة النقدية بين الناقدين، يقول: "هذا النقض لا يجب أن يفهم بمعنى السلب، أي في صورة نبذ للتراث الأنطولوجي؛ بل على العكس إننا بصدد كشف الإمكانات الإيجابية لهذا التراث، وهو ما يعني دوما تبيين حدوده... إن النّقض لا يرمي إلى دفن الماضي في العدم إذ الغرض منه إيجابي، وتظل وظيفته النقدية مضمرة وغير معلنة" (ينظر: عطية أحمد عبد الحليم، 2010، ص 189- 190)

إنّ هذا التقارب في الأفكار بين النظريتين، والسعي الحثيث للنقاد من أجل اكتشاف الفوارق الموجودة بين تفكيكية (جاك دريدا) و باقي الفلسفات: هو الذي يزيد التفكيكية من غموض في الساحة النقدية، ويدفع النقاد لتتبع مرجعياتها الفلسفية من أجل فهمها والتمكن من تمثّل آلياتها في مقاربة مختلف النصوص، ذلك أنّ التفكيكية كاستراتيجية لقراءة النصوص وتقويضها، تقوم على انتهاج قراءة تقويضية تكشف بها عن التناقض الذي يحفل بدلالة النص، فهذه القراءة التقويضية تثير الشك في اليقينيات النصية، ثم تعتمد بعد ذلك على "أسلوب تحليلي واستراتيجية نصية قائمة على التعامل مع النص بعدّه نشاطا لغويا متعدد الطبقات، ويقوم الناقد التفكيكي باختراق الكلمات في سياقها النصي قبل أن يقبل الدلالات المرافقة لا بعدّها مسلّمات فلسفية أو عقلية، إن منهجية (دريدا) قائمة على تحرير اللغة من دلالتها المقيّدة بقواعد النحو ووضعها في إطار تحليلي من الفكر والرؤية الشعرية" (عطية أحمد عبد الحليم، 2010، ص 117)

كل هذا الحراك النقدي الذي أثارته التفكيكية في الساحة النقدية هو دليل على غموضها المفاهيمي، ودليل آخر على أهميتها النقدية في نقد ما بعد البنيوية، فهذا الوضع النقدي المتأزم هو الذي جعل التفكيكية واحدة من "أكثر الإفرازات البنيوية الأوروبية إثارة للدهشة وأخطر مدرسة نقدية جديدة في السبعينات، في نظر بعض الملاحظين... فقد اتخذ هذا التيار الجديد مبدأ اعتباطية العلامة اللغوية عند دوسوسير كأحد منطلقاته، وأضاف له قسطا مهمًا من الشك الفلسفي من عند (نيتشه) و(هايدجر)، وكانت نتيجة هذا أن أصبح الدال منفصلا عن المدلول، وبمعنى آخر لم يعد بالإمكان إعطاء النصوص معنى محددا" (ينظر: بن سويكي يمينة، 2008، ص 12)

نتوصل إلى أنّ التفكيكية التي نظر لها (جاك دريدا) أفادت كثيرا من أفكار (ميشال فوكو، هايدجر، ديكارت)، حتى صارت على ما هي عليه الآن،

حيث تعد التفكيكية استراتيجية نقدية ثائرة على كل المقولات الحداثية للنص؛ فهي تشك في أفكاره اليقينية، ثم تقوم بتقويضه وخلخلة نظامه، حتى يصبح معنى النص متشظيا مع كل قراءة جديدة.

22 ظهور التفكيكية في الولايات المتحدة الأمريكية ومعالم النجاح:

يرجع النقاد تاريخ ظهور التفكيكية في الولايات المتحدة الأمريكية إلى السياق العلمي الأكاديمي؛ الذي أشرفت فيه جامعة جون هوبكتر بتاريخ أكتوبر 1966 على تنظيم "ندوة اتخذت من اللغات النقدية وعلوم الإنسان موضوعا لها، وقد شارك فيها نجوم المشهد النقدي العالمي المعاصر (رولان بارت)، (تزفيتان تودوروف)، (لوسيان غولدمان)، (جورج بولي)، (جاك دريدا)، (جاك لاكان)" (وغليسي يوسف، 2010، ص 176)

إن ظهور التفكيكية في هذا السياق بالذات يزيد من خصوصيتها الثائرة على المناهج البنيوية، ذلك أن ظهور التفكيكية يتزامن مع ازدهار البنيوية في الساحة النقدية؛ إلا أن التفكك النقدي الذي عرفته البنيوية في سياق ما خدم التفكيكية أكثر؛ لأن النقاد الذين كانوا في بداياتهم بنيويين، سرعان ما تمردوا على البنيوية وانشقوا منها، ثم انضموا إلى التفكيكية، لإدراكهم أن المشروع النقدي الذي قامت عليه البنيوية صار قاصرا على مقاربة النص مقاربة محايثة، ولأنهم وجدوا في التفكيكية نزعة ثورية تتناسب مع أفكارهم المتمردة على البنيوية، حيث تهدف التفكيكية إلى "قراءة الفكر الغربي قراءة شاملة وإعادة النظر في المفاهيم التي تأسّس عليها كخطاب ميتافيزيقي، مثل الحقيقة والعقل، والهوية والحضور والأصل...الخ، وهينقد للتمركز العرقي ethnocentrisme الغربي المدعم من طرف تمركزات أخرى، مثل تمركز العقل logocentrisme وتمركز الصوت phonocentrisme وتمركز القضيب phallocentrisme" (دريدا جاك، 2013، ص 6-7)

فنشأة التفكيكية لها خصوصية ديناميكية نابعة من صلب البنيوية ذاتها؛ فهي تثور على مبادئها العقلية والمنطقية، وتسعى إلى تقويض ثوابتها النصية التي أعلت من مركزية العقل واللغة واللوغوس والنظام...الخ، بمقابل ذلك انفتحت التفكيكية على الهوامش النصية، واهتمت بالبحث عن البنية المضطربة في النص، وعملت على تقويل النص ما لم يقله، حتى يتحرر النص من القصدية، وينفتح على لا نهائية الدلالة.

إن ظهور وازدهار التفكيكية في الولايات المتحدة الأمريكية، ثم انتشارها بعد ذلك في باقي دول العالم، يعدّ ظاهرة نقدية مدهشة، تستدعي البحث عن الميكانزمات التي ساعدت على نجاح التفكيكية في الولايات المتحدة الأمريكية مقارنة بظهورها المحتشم في أوربا في بداية نشأتها على يد (جاك دريدا)، حيث يرجع الفضل في نجاحها إلى الدور الذي لعبه الفضاء الأكاديمي الأمريكي في التعريف بالتفكيكية، وإشاعة الوعي لدى النقاد بضرورة تمثلها في الدراسات النقدية، وهو ما تجسّد في إقبال عدد كبير من النّخب الأكاديمية على تلقي تفكيكية (جاك دريدا)، وقد تطور تأثرهم إلى درجة تكوين فرق نقدية أكاديمية تتمثّل فكرها التفكيكي، فنجد من بين تلك المدارس النقدية التي تمثلت التفكيكية "مدرسة يال yale school/école de yalle بزعامة (بول دي مان) (19191983)، (جي هيلمز ميللر) من مواليد 1928، و(جيفري هارتمان) من مواليد 1929، و(هارولد بلوم) من مواليد 1930، على الرغم من إشكالية انتماء التفكيكي لهذا الأخير الذي طالما عد أصحابه هم التفكيكية وأنه هو النقد، وأن هنالك مسافة بينه وبين تفكيكية يال" (وغليسي يوسف، 2010، ص 179)

إن هذه المدرسة النقدية على حداثة ظهورها في الساحة النقدية الأنجلو سكسونية؛ إلا أنّها استطاعت أن تحقّق نجاحا نقديا، وانتشارا واسعا في مختلف جامعات العالم، وهذا راجع بالأساس إلى توفر الظروف الملائمة في الولايات المتحدة الأمريكية؛ وهو العامل الذي ساعد على نجاح التفكيكية فيها، فقد استطاعت التفكيكية بثورتها على البنيوية أن تعيد إحياء الحركية النقدية في الولايات المتحدة الأمريكية، بعدما كانت راكدة في منذ خمسينيات القرن الماضي، فقد "ظهرت التفكيكية في الولايات المتحدة في مناخ من عدم الرضا على الوضع الذي كان سائدا، فمع خروج النقد الجديد إلى الساحة في النصف الثاني من الخمسينيات والمقاومة القومية لتيار البنيوية بتركيبتها الجديدة التي ركزت على قهر الذات، ذات المبدع والمتلقي، وذلك بإحلال اللغة كقوة قهر جبرية جديدة محل العقل، سادت الأوساط النقدية حالة من الجمود من ناحية، وعدم الرضا وتوقع الجديد من ناحية أخرى، وكان التفكيك هو الإجابة والمخرج وهكذا انتشرت الأفكار التفكيكية بسرعة لم تتحقق لأي مشروع نقدي سابق" (حمودة عبد العزيز، 1998، ص 257)

كان للمبادئ النقدية التي تقوم عليها التفكيكية دور في إقبال النقاد على تلقي هذه الاستراتيجية الجديدة في الساحة النقدية الأمريكية، فقد ساعد المزاج الثقافي السائد في الولايات المتحدة على نجاح التفكيكية وانتشارها، لأن النقاد وجدوا في المبادئ التفكيكية ما يطمحون إليه من ثورة وتمرد على الفكر الحداثي عامة والبنيوي خاصة، إذ أن نجاح التفكيكية في الولايات المتحدة الأمريكية جاء ليمحوَ مواقف الرفض والعدائية التي واجهت التفكيكية في فرنسا، مما "اضطر أصحابه إلى الهجرة إلى تربة أخرى حينما اكتشفت أن التفكيك في حقيقته ينسف التوحّد ويلغي التجانس؛ لأنّه ينادي بالتعدّد اللانهائي لتفسير النص، وهكذا هاجر التفكيكيون الجدد وعلى رأسهم (جاك دريدا) إلى مناخ ثقافي مختلف يقوم على التعددية الثقافية ويحتفي بها، ونقصد به المناخ الثقافي الأمريكي، وقد احتفت أمريكا بالمهاجرين الجدد ورحبت جامعاتها بالتفكيك" (حمودة عبد العزيز، 1998، ص 145)

إن نجاح التفكيكية في الولايات المتحدة الأمريكية، فتح لها باب التطور والانتشار إلى مختلف بقاع العالم، وهو نجاح استطاعت من خلاله

التفكيكية أن تمحوَ به معالم الإخفاق الذي لحقها في بداية نشأتها في الساحة النقدية الأوروبية وبصفة خاصة في فرنسا.

23 تلقي التفكيكية في النقد العربي:

يُرجِع النقاد ظهور التفكيكية في النقد العربي إلى الثمانينيات من القرن الماضي، حيث كان ظهورها متأخّرا مقارنة بنشأتها في فرنسا، وانتشارها في الولايات المتحدة الأمريكية، إذ يقدّر النقاد مدة هذا التأخّر في النقد العربي بأكثر من 21 سنة عن النقد الغربي، حيث كان انتقال "التفكيكية إلى الخطاب النقدي العربي المعاصر انتقالا محتشما ومتأخّرا نسبيا كالعادة، فقد سبق لنا في مقام علمي مغاير أن أرّخنا بسنة 1985م لبداية التفكيكية العربية تاريخ صدور أول تجربة نقدية عربية تصدع بانتمائها الصريح إلى أبجديات القراءة التفكيكية التشريحية، وهي تجربة الناقد (عبدالله الغذامي) في كتابه الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية déconstruction قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر" (وغليسي يوسف، 2010، ص 179)

يرى النقاد أن سبب هذا التأخر راجع إلى جملة من العراقيل الموضوعية، المتعلقة بتبعية النقد العربي للنقد الغربي، وصعوبة اللحاق بما ينتجه من مناهج نقدية معاصرة؛ فهذه الظروف أحدثت هوة في تلقي المناهج النقدية الغربية، مما تنعكس على تأخر تلقي النقد العربي للتفكيكية من النقد الغربي؛ لكونه ظل "يوجّه النقد الأدبي العربي، ويفرض عليه في كل مرة إبدالاته الخاصة والمتجدّدة، ولمّا كانت هذه الإبدالات تصل إلينا متأخّرة كنا مضطرين إلى ملاحقتها ومواصلة متابعة الإبدالات الجديدة على إيقاع متواتر خارجي عنا، وتستدعي هذه الملاحقة الاستعجال في الانتقال رغم عدم إنجاز المطلوب إنجازه مع أي إبدال، فنجد أنفسنا في النهاية أمام تراكمات عديدة، لكن محصلتها هزيلة أو تكرارية، ويؤدي هذا في أغلب الأحيان إلى جعل ملاحقتنا لما يتحقّق في الغرب ناقصا وجزئيا" (يقطين سعيد، دراج فيصل، 2003، ص 30-31)

على الرغم من تأخر النقد العربي في تلقي التفكيكية؛ إلا أن هنالك نقادا استطاعوا تمثّل التفكيكية من خلال ما اطّلعوا عليه من الكتب المترجمة حول أعمال (جاك دريدا)، فسعوا إلى إفادة النقد العربي بها من خلال ما ترجم من كتب لأهم رواد التفكيكية، وفي هذا الصدد يعدد (يوسف وغليسي) أهم النقاد العرب الذين تمثّلوا التفكيكية في أعمالهم النقدية، حيث استطاع الناقد (عبدالله الغذامي) فتح الباب لنقاد جدد سعوا لمسايرة مسار التفكيكية في النقد الغربي، فكانت "تلك التجربة حافزا منهجيا قويا لظهور تجارب سعودية أخرى، جعلتنا نقرر باطمئنان ريادة الخطاب النقدي السعودي المعاصر للتفكيكية على المستوى العربي بأسماء ذات صيت عربي طيّب، عرفت بتنظيراتها النقدية وإسهاماتها الجادة في النقد خصوصا، أمثال: (عابد خزندار)، و(سعد البازغي)، و(ميجان الرويلي) (الذي أصدر عام 1966م كتابا في هذا الشأن سماه "قضايا نقدية ما بعد بنيوية- سيادة الكتابة نهاية الكتابة"، يتقاطع عنوانه الفرعي تقاطعا عمديا مع مبحث (جاك دريدا) الشهير عن "نهاية الكتاب وبداية الكتابة: la fin du livre et le commencement de l’écriture")، إضافة إلى أسماء عربية قليلة أخرى، يمكن أن نذكر منها: (علي حرب)، (وبسام قطوس) و(عبد الملك مرتاض)، هذه صورة تقريبية عامة للخارطة النقدية التفكيكية" (وغليسي يوسف، 2010، ص 179-180)

انصرف النقاد بعد هذه التجارب النقدية إلى ترجمة المصطلح، فاجتهدوا في البحث عن المصطلح العربي المقابل للتفكيكية، على الرغم من أن (جاك دريدا) ذاته يؤكد على صعوبة- إن لم نقل استحالة- وجود مصطلح يحتوي دلالة التفكيك التي نظر لها، وفي هذا الشأن يُقْدِمُ الناقد (يوسف وغليسي) على إحصاء الجهود العلمية التي يقوم بها النقاد العرب في وضع مصطلحات مرادفة لتفكيكية (جاك دريدا) (ينظر: وغليسي يوسف، 2010، ص 180-185)

إن هذا التأثر المتأخر للنقاد العرب بالتفكيكية، لا يعد عيبا، بقدر ما يعد مكسبا نقديا ثمينا، قَدَّمَ الإضافة الجديدة للنقد العربي، فهو أفضل حالا من الجهل بها، وعدم الاطلاع عليها، وبذلك استطاع النقاد أن يستفيدوا من التفكيكية في مقارباتهم النقدية للنصوص الأدبية، حيث يمكن أن نلخص المسار الذي مَرَّ عليه النقد العربي في تلقي التفكيكية "بثلاث طرق: تم أولها بالالتقاء بالأرضية المعرفية التي شكلت أسس نزعة التفكيك ممثلا ذلك في مفهوم "الحداثة"، وجاء ثانيها في الترجمة المباشرة، وكان ثالثها في تبني النزعة التفكيكية في قراءة نصوص الأدب العربي، وهو ما سيتم التركيز عليه خاصة ما قدمه (عبد الفتاح كيليطو)" (عبابنة سامي محمد، 2015، ص 1077)

إذا كان هناك نقادا انشغلوا بالجانب المفاهيمي للتفكيكية تارة، وترجمة مصطلحاتها تارة أخرى، فإن هناك نقادا اجتهدوا في تطبيق التفكيكية على النصوص الأدبية بمختلف سياقاتها وأنواعها (شعرا/ نثرا)، حيث نجد الناقد (عبد الفتاح كيليطو) من النقاد الذين بادروا في قراءة الأدب العربي القديم تفكيكيا، حيث ارتكزت قراءته التفكيكية "على أسس مستمدة من الطروحات المتنوعة والثرية للتفكيكية، وتأتي أهمية هذا العمل أن (كيليطو) لا يكشف عن أصول هذه الطريقة في قراءة الأدب العربي القديم والتعامل معه" (عبابنة سامي محمد، 2015، ص 1075)

يَنْظُرُ الناقد (عبد الفتاح كيليطو) إلى النص على أنه بناء لغوي غير مستقل عن باقي الأنواع الأدبية الأخرى؛ بل هو مُؤَلَفٌ إبداعي "يشمل جميع الأنواع التي تعدُّ أدبية- أي يجب أن لا ينظر إلى الأنواع على حدة وإنما النص الأدبي كيفما كان نوعه" (عبابنة سامي محمد، 2015، ص 1079)، يتضح بأن النص الأدبي ليس مستقلا عن باقي الأنواع الأدبية التي يبدعها الأدباء، بل هنالك همزة وصل وترابط بين النصوص الأدبية، فكل خصوصية أدبية للنص تذوب لصالح وحدة الأدب، وفي هذا المعنى تلميح ضمني للتناص الأدبي، بعدّه أحد المبادئ النقدية التي تبحث فيها التفكيكية، حيث يتيح التناص تحديد ظاهرة التقليد أو الإبداع عند الأديب، وعلى هذا الأساس تتم مقاربة النص تفكيكيا عبر البحث في التكرارات التي حملها

النص ومدى ترابطها مع نصوص سابقة "ذلك أن أي نص لا ينطوي على كلمات مفتاحية تشع عند تكرارها بالمعنى الموحد للنص، وإنما ينطوي النص على تكرار يؤدي إلى تعديل المعنى وتحويره وبعثرته وتشتته، فالذات الكاتبة لا تستطيع السيطرة المطلقة على كلماتها عند كتاباتها لها، لأن كل كتابة تحمل أثرا من معنى ماض أو قادم، مما يجعلها تقول أكثر مما أراد كاتبها أن يقول" (دريدا جاك، 2008، ص 64).

فهذا الشتات النصي هو ما يسمح للناقد بتقويل النص ما لم يقله كاتبه، وذلك بواسطة تحميله قراءات متعددة تتولد عنها دلالات لا نهائية للنص.

يرى الناقد (عبد الفتاح كيليطو) أن العملية الإبداعية في الأدب العربي القديم تميل إلى التقليد في أسلوب الكتابة الأدبية، فحسبه أغلب الشعراء القدماء يميلون للكتابة على نفس المنهاج الخطابي في الأدب، وعلى هذا الأساس يرفض الناقد (عبد الفتاح كيليطو) إطلاق مصطلح المُؤَلِفُ على الشعراء، بل الأصح لديه هو مصطلح المحاكي- أي أن كل أديب ما يحاكي في نصه الأدبي الطريقة التي أبدع بها الأدباء السابقون كتابة نصوصهم الأدبية، وبهذا المفهوم يصبح النص اللاحق مترابطا مع النص السابق مهما كان نوعه الأدبي، ويفسر (كيليطو) ذلك بأن "كل مؤلف إنما يحاول أن ينسجم مع نمط الخطاب الجمعي ليكون صوته مسموعا، فلا بد له من أن يضم صوته إلى صوت الجوقة، ومن ثم فليس هنالك مؤلف وإنما محاك، وقارئ باستمرار لنمط الخطاب" (عبابنة سامي محمد، 2015، ص 1079)

يتضح من خلال هذا الموقف الذي يبديه الناقد (عبد الفتاح كيليطو) بأن العملية الإبداعية التي سادت في الأدب العربي القديم تتناقض مع ما تقوم عليه التفكيكية من انفتاح على الإبداع المتجدد للنص، لأن التفكيكية أتاحت للقارئ دورا في إعادة كتابة النص بدلالة جديدة ولا نهائية، حيث تصبح كل قراءة جديدة للنص إساءة للقراءة السابقة، وبهذا فالعملية الإبداعية في منظور نقد ما بعد الحداثة قائمة على التجدد المستمر، وهو المبدأ التفكيكي الذي استعان به (عبد الفتاح كيليطو) في قراءته لنصوص الأدب العربي القديم، حيث توصل بأن العملية الإبداعية فيه تميل للتقليد الجمعي "وعلى أساس ذلك فالشاعر الجاهلي عندما كان يقف على الطلل، إنما هو مؤلف فعلي لا مؤلف حق، لأنه في وقوفه هذا إنما ينصت للشعراء الذين سبقوه، إنما ينصت كما فعل عنترة إلى تقليد شعري، ترسخ بهيئة خطاب القصيدة الجاهلية، وكذلك الأمر في كثير من كتابات الجاحظ وما ينسبه إلى غيره من مؤلفات" (عبابنة سامي محمد، 2015، ص 1079)

كما ينتهج الناقد (عبد الفتاح كيليطو) مقاربة تفكيكية على نص "ألف ليلة وليلة"، فهو يحاول من خلالها تشريح النص، والبحث في الأحداث الهامشية منه، بعيدا عن مركزية الوقائع السردية، ثم يقوم الناقد بتقويض دلالته، بعدما تمكن من خلخلة وحدته بواسطة طرح سلسلة لا نهائية من الأسئلة التفكيكية، فيكشف النص عما لم يقله من معاني مضمرة تخفي وراء معناه الظاهر، وبذلك يصبح النص حرا من القصد، ومتشظيا في الدلالة، إذ يصف الناقد "قراءته بقوله: وبصفة تدريجية ستسعى قراءتي لكتاب "الليالي" لا إلى تجريده من أسراره (بواسطة ما لا أدري من شبكة تأويليه)، بل إلى إطلاعه على سره الخاص، وذلك دون المس بكل احتمالات معناه" (عبابنة سامي محمد، 2015، ص 1082)

لقد استطاع الناقد (عبد الفتاح كيليطو) أن ينتهج التفكيكية كاستراتيجية لقراءة النص الأدبي العربي القديم وتقويضه، فكانت مقاربته النقدية محاكاة لتفكيكية (جاك دريدا)؛ وهذا الاجتهاد التطبيقي يعد إضافة ممتازة للنقد العربي، حيث استطاع الناقد (عبد الفتاح كيليطو) من خلاله تفكيكيته أن يقدم دراسات نقدية مختلفة في دلالتها عما تناوله باقي النقاد في دراساتهم النقدية السابقة، فما قدمه الناقد "(كليطو) من قراءات للأدب العربي القديم يثير قارئه بما تكشفه القراءة، وما تعمل على زعزعته مما هو في عداد الثابت والمستقر واليقيني، لتتفتح آفاقه على أبعاد دلالية لم يؤسس النص على أساسها" (عبابنة سامي محمد، 2015، ص 1082_1083)

من خلال تتبعنا لمسار تلقي النقد العربي للتفكيكية، نتوصل إلى أن التلقي المتأخر لها لم يشكل عائقا في مسايرة النقد العربي للنقد الغربي، حيث تعد التجربة النقدية للناقد (عبد الفتاح كيليطو) بادرة نقدية ملهمة، أسهمت في زيادة إقبال النقاد والأكاديميين على انتهاج التفكيكية كاستراتيجية نقدية لقراءة وتقويض النصوص بمختلف أنواعها وسياقاتها، فهذه التجارب النقدية العديدة دليل على تجاوز النقد العربي لمرحلة الغموض المفاهيمي الذي صاحبه عند تلقيه البكر للتفكيكية.

3 آليات التحليل في النظرية التفكيكية:

31 الثورة على النقد البنيوي ومبادئه:

تنتهج التفكيكية في مقاربتها للنصوص الأدبية جملة من الآليات التقويضية؛ التي تستمد استراتيجيتها الإجرائية من كونها نظرية نقدية مناهضة للنقد البنيوي؛ الذي سعى إلى علمنة (علمية) النص الأدبي بمقاربته النسقية، لذلك تتمثل أولى معالم آليات التفكيكية في الثورة على البنيوية، (فجاك دريدا) يعدُّ التفكيك "حركة ضد البنيوية، وهو يدين بجانب من نجاحه لهذا اللبس، كان الأمر يتعلق بحل بفك بنزع رواسب البنيات، جميع ضروب البنيات اللغوية وتمركزية لوغوسية وتمركزية صوتية، بما أن البنيوية كانت خاضعة يومها بخاصة إلى نماذج لغوية، نماذج علم اللغة أو الألسنة المدعو بالبنيوي، الذي كان يسمى كذلك سوسيريا" (دريدا جاك، 2000، ص 59)

إن مبدأ الثورة على البنيوية نابع من إدراك التفكيكيين للثغرات التي قامت عليها البنيوية، لأن التفكيكية ضمت في تركيبتها نقادا كانوا في

بداية مسارهم النقدي بنيويين، ثم انشقوا عنها، وانتقلوا إلى التفكيكية، وهم يحملون موقفا عدائيا ضد البنيوية، لأنهم أدركوا فشل المشروع النقدي الذي تأسست عليه البنيوية، وهو مقاربة النص مقاربة محايثة، حتى يكون له معنى أحادي وقصدي، لا يقبل التأويل، لذلك جاءت التفكيكية لتتجاوز تلك النقائص النقدية التي وقعت فيها البنيوية، وتعويضها بانفتاح النص على القارئ، وتحرر معناه من القصدية، حيث يرتكز ذلك على هدم المبادئ النقدية البنيوية في صورة تقديسها لسلطة (العقل، اللغة، اللوغوس، ورفض التاريخ)، كما تعمل التفكيكية على الشك في اليقينيات العقلية للنص، وزعزعة نظامه، وخلق حالة من اللانظام فيه، ثم الانتقال به من الانسجام إلى التشتيت "بمعنى أنه إذا كانت البنيوية السردية والسيموطيقا تبحثان عن كل مظاهر الانسجام الدلالي، وتسعيان إلى إبراز التشاكل العضوي داخل النص أو الخطاب من أجل إزالة الغموض والالتباس مع تسهيل عملية القراءة الفعلية، فإن دريدا جاء ليقوّض فكرة الانسجام محوّلا النص أو الخطاب إلى عالم من لا انسجام والصراع الداخلي الذاتي، فيتصارع النص مع نفسه عن طريق آليات التفكيك والتقويض والتشتيت وكشف مواطن التضاد والاختلاف والتناقض" (حمداوي جميل، 2011، ص 41)

إن التفكيكية بريادة (جاك دريدا) استطاعت بآليتها النقدية الثائرة على مبادئ النقد البنيوي أن تقلب موازين النص وتخلخل قواعده المنطقية، ليصبح في حالة من اللااستقرار واللاثبات، فالتفكيكية كما يشبهها أحد النقاد في تعاملها مع النص الأدبي "كالثور الهائج أطلقه عصر الشك الشامل من مربطه يحطم كل شيء، فلا شيء معتمد ولا شيء موثوق ولا شيء مقدّس" (عبد العزيز حمودة، 1998، ص 270)

إن التفكيكية ترفض أن يكون النص خاضعا لقوانين معيّنة كما فعلت البنيوية، وترفض أن يبقى النص محافظا على تماسكه البنائي وفق نظام معين، لذلك فهي تسعى إلى خلق الفوضى في النص من خلال إشاعة مبدأي الشك والنقض اللذين تتميز بهما؛ وهو ما يجعل التفكيكية نظرية للهدم والتشتيت والتقويض.

32 القراءة التقويضية:

تعد التفكيكية امتدادا لنظريات نقد ما بعد الحداثة، وهي من النظريات النقدية التي ركزت على سلطة القارئ في قراءة النص وتأويل معناه، بخلاف المناهج النسقية التي اكتفت بسلطة اللغة عند مقاربة النص مقاربة محايثة، وبذلك فالتفكيكية في تركيزها على القارئ، لم تخرج عما قدمته نظريات التلقي في مرحلة نقد ما بعد البنيوية؛ فهي منحت للقارئ دورا في توليد دلالة النص باستمرار، وهو ما يجعل المعنى متجددا ومختلفا من قراءة لأخرى، ومن سياق لآخر، لذلك فالتفكيكية "على سبيل المثال هي أيضا دراسة حتمية لنظريات التلقي، والنقد قائم على استجابة القارئ، ولن ندخل هنا في مجال التفرقة بين المسميين أو أيهما يتسع للآخر، إن أهم محاور التفكيك يرتكز على الأهمية الجديدة التي يكتسبها القارئ والدور الأساسي الذي يلعبه في تفسير النص" (عبد العزيز حمودة، 1998، ص 274)

إن القراءة التي يتمثلها القارئ التفكيكي ليست قراءة عادية تذوقية؛ بل هي قراءة تفرض على القارئ انتهاج أسلوب تقويضي، يقوم على اكتشاف التناقض الذي يحمله النص بين المعنى الظاهر والمعنى الضمني، فالتفكيكية عند نقضها للنص تبدأ بالبحث "داخله عما لم يقله على نحو صريح واضح المسكوت عنه وهي تعارض منطق النص الواضح المعلن، وإدعاءاته الظاهرة، بالمنطق الكامن في النص، كما أنها تبحث عن النقطة التي يتجاوز فيها النص القوانين والمعايير التي وضعها نفسه، فهي عملية تعرية للنص وكشف أو هتك كل أسراره، وتقطيع أوصاله وصولا إلى أساسه الذي يستند إليه" (يقطين سعيد، دراج فيصل، 2003، ص 215)

ينظر (جاك دريدا) إلى النص على أنه يعيش حالة من اللاتوازن بين المعنى الظاهر والمضمر، وهو وضع نقدي متأزم يستدعي القراءة التقويضية، بعدّها استراتيجية لقراءة النصوص ونقضها، حيث تتم "عملية التفكيك على مرحلتين: يقوم الكاتب بالتعمق في النص حتى يصل إلى الافتراضات الكامنة فيه وإلى المنظومات القيمية والمعرفية التي يستند لها وإلى افتراضاته الأصولية وأساسه الميتافيزيقي الكامن، أما المرحلة الثانية فهي حين يبدأ الناقد في اكتشاف عنصر ممائ في النص تفصيلات هامشية، مصطلحات غير مهمة متكررة، إشارات عابرة، فيأخذ الناقد التفكيكي ويظل يعمق فيها ويحملها بالمعاني حتى يبين احتواء الكل الثابت المتجاور على تفاصيل تقويض من كليته وثباته وتجاوزه " (عطية أحمد عبد الحليم، 2010، ص 170)

تكمن قيمة القراءة التقويضية في التفكيكية في كونها تكشف عن الحقيقة التي لم يقلها النص، وهي حقيقة مضمرة ومتناقضة مع المعنى الظاهر للنص، وهو ما يستدعي التقويض للوصول إلى تشظي المعنى.

33 لا نهائية المعنى:

إذا كان النقد البنيوي ومناهجه يرى في أن للنص معنى أحاديا لا يقبل التأويل، وذلك لأن العلاقة بين الدال والمدلول في العلامة اللغوية قصدية لا اعتباطية، فإن النظرية التفكيكية بريادة (جاك دريدا) تخالف هذا المبدأ، وتسعى إلى تقويضه، بمنطلق أن (جاك دريدا) يخالف نظرية (دي سوسير)، حيث يكمن هذا الاختلاف والتعارض في أن (جاك دريدا) يقر بأسبقية الكتابة على الصوت خلافا (دي سوسير)، الذي يُنَظِّرُ لأسبقية الصوت على الكتابة، كما أنّ (جاك دريدا) يعطي أولوية للمدلول على حساب الدال، وأسبقية الضمني على الظاهر، لأن (جاك دريدا) يرى أن

الظاهر (دال) خادع على الدوام، وهو شيء سطحي لا غير، في حين أن الحقيقة هي التي تختفي ضمنه (مدلول)، وحجة (دريدا) في الدفاع عن هذا الموقف تتجلى في مبدأ الأثر Trace؛ وهو "التشكيل الناتج عن الكتابة، وذلك يتم عندما تتصدّر الإشارة جملة وتبرز القيمة الشاعرية للنص، ويقوم النص بتصدّر الظاهرة اللغويّة، فتتحوّل الكتابة لتصبح القيمة الأولى هنا، وتتجاوز حالتها القديمة من كونها حدثا ثانويا يأتي بعد النطق، وليس له من وظيفة إلا أن يدل على النطق ويحيل إليه، إن الكتابة تتجاوز هذه الحالة لتلغي النطق، وتحل محله وبذلك تسبق حتى اللغة، وتكون اللغة نفسها تولدا ينتج عن النص، وبذا تدخل الكتابة في محاورة مع اللغة فتظهر سابقة على اللغة ومتجاوزة لها، ومن ثم فهي تستوعب اللغة، فتأتي كخلفية لها بدلا من كونها إفصاحا ثانويا متأخّرا" (الغذامي عبد الله محمد، 1998، ص 55)

استطاع (جاك دريدا) من خلال آلية تعدد المعنى أن يُحْدِثَ نقلة في المفاهيم السوسيرية؛ التي أقرّ من خلالها أنّ النص يحمل معنى لا متناهيا؛ لأنه يحتمل قراءات متعددة، فكل قراءة فيه تولد معنى جديدا يختلف عن السابق، دون أن يكون هنالك ثبات في المعنى، حيث "إنّ التغيير الجوهري الذي طرأ على نظرة ما بعد البنيوية إلى اللغة، يتمثّل في التّعديل الذي حدث للعلاقة بين طرفي العلامة وهما الدال والمدلول واللذان يمثّلان معا وحدة العلامة اللغوية، وقلنا أيضا إن ذلك التغيير يتمثل في بعد المسافة بين الدال ومدلوله أو في ضعف العلاقة بينهما... وتتسع مساحة الشك / الفجوة حتى تختفي العلاقة بين الدال ومدلوله ولا تبقى في النهاية إلا الفجوة بين الاثنين، الفجوة التي يتحقّق فيها اللعب الحر للمدلولات، وتتحقق لا نهائية الدلالة أو المعنى، وحيث تصبح كل قراءة إساءة قراءة" (ينظر: حمودة عبد العزيز، 1998، ص 303-304)

إن النص عند (جاك دريدا) غير ثابت على قراءة واحدة، وهكذا فهو لا يستقر على معنى واحد، بل هو في يعيش في حالة من التشتّت المستمر، نتيجة تجدّد القراءات، وتجدّد المعاني بالنسبة للنص الواحد، أو القارئ الواحد من سياق لآخر، وهذا الوضع يتشكل عندما تقوم التفكيكية بهدم مركز النص، وعزله عن السياقات الخارجية التي تتحكم في معناه، وعليه يكون النص متحررا من الضوابط والقوانين المركزية، فلا تصبح علامته اللغوية مقيّدة ومغلقة، بل تصير منفتحة ومتحرّرة، حتى تكتسب دلالات متعددة ولانهائية، لأن العلامة في منظور التفكيك "تكتسب صفة الإغلاق والنهائية والذاتية بحكم علاقتها بمركز خارجي هو النظام العام للغة الذي يؤسس شرعيتها ويمكنها من تحقيق الدلالة، غياب المركز الذي أعلنه دريدا إذن أفقد العلامة انغلاقها ونهائيتها وشرعيتها وقدرتها على الدلالة، وسوف نرى في السنوات التالية مباشرة كيف سيؤدي فتح العلامة الذي أحدثه غياب المركز المرجعي الثابت إلى تحويل اللغة إلى سلسلة لا نهائية من الدلالات" (حمودة عبد العزيز، 1998، ص 336)

إن (جاك دريدا) من خلال تفكيكيته يرى بأنه يكمن تحرير النص من القصدية بانتهاج القراءة المتجددة للنص، حيث تصبح كل قراءة جديدة هدما للقراءة السابقة، وهكذا تصبح دلالة النص متشظية أي معناها يكون مختلفا ولا نهائيا عندما تتحرر الدوال من المركز الذي كان يحكمها.

34 الاختلاف والإرجاء والتأجيل:

يُرْجِعُ (جاك دريدا) تعدد دلالة النص إلى مبدأ (الاختلاف Différance)؛ فهو يُتِيحُ للنص اكتساب معاني متعددة ولا نهائية، لأن كل قراءة جديدة للنص تحمل معنى جديدا، حيث يعطي (جاك دريدا) لهذا المبدأ أهمية كبيرة في تفكيكيته، لكون أهميته تتحدد بماهية مصطلح (الاختلاف Différance) ذاته، وهو مبدأ نقدي أثار جدلا واسعا بين النقاد، ولا تتضح خصوصية هذا المصطلح (الاختلاف Différance) إلا في حالته المكتوبة، حيث "ولد هذا المصطلح من فعلين هما: فعل الإرجاء والتأجيل والانحلال، كأن تحل مجلسا أو اجتماعا، ثم فعل الاختلاف حسب المفهوم الألسني البنيوي، وهو فعل ينطوي على البعد والافتراق والبين، لكن دريدا في اشتقاقه هذا قد صاغ ما يمكن أن يكون اسم الفاعل بإضافة حرف الألف A في اللغة الفرنسية بدلا عن حرف E الذي يكتب بهذا الاختلاف العادي، ومغزى (دريدا) من هذا أنّ اختلاف الألف عن حرف E لا يظهر في اللفظ الفرنسي وإنما يظهر فقط في الكتابة" (الرويلي ميجان، البازغي سعد، 2002، ص 115-116)

سعى النقاد إلى فهم وترجمة خصوصية هذا المصطلح؛ الذي يظهر تفرده في طريقة كتابة كلمة (الاختلاف/Différance)، وهو تميز يراه (جاك دريدا) حكرا على المصطلح ذاته، يقول: "أعتقد أن قلقك حول ترجمة هذه المفردة يتّجه إلى صميم المشكل، فهي ليست غير قابلة للترجمة إلى العربية فحسب، وإنما حتى الإنجليزية وسواها من اللغات وحتى إلى الفرنسية بمعنى ما، من حيث إنّها تتعارض مع الكلمات المتجذّرة من الميراث اللاتيني كما أنّها في اقتصادها نفسه غير قابلة للإبدال بمفردة أخرى" (دريدا جاك، 2000، ص 53)

يتفق النقاد بأن ترجمة مصطلح (الاختلاف Différance) إلى لغة أخرى من شأنه أن ينحرف عن الدلالة الأصل التي صاغها (جاك دريدا)، فهم يبررون ذلك: بأن ترجمة مصطلح الاختلاف يوقع النقاد في مطب "ترجمة معوقة للقراءة، ومحددة للرحابة الدلالية للمصطلح ذاته التي تحيط أيضا بمعاني الفرق والتميز والتفاضل والاستكمال...الخ، وفضلا عن ذلك لا يجدر بالمترجم أن يترجم لفظا بلفظين أو ثلاثة معادلة له، وإلا تراخى معجمه وسالت ترجمته وخصوصا في مجال ترجمته لنص مثل نص دريدا، تكثر فيه المصطلحات المزدوجة الدلالة، وقد كان من الممكن (لدريدا) ذاته أن يجعل مصطلحاته مزدوجة اللفظ، ولكنه آثر دمجها في مصطلح واحد" (دريدا جاك، 2008، ص 12)

يتضح من خلال هذا أنه يتوجب على المترجم أن يتجنب حصر مصطلحات التفكيك بمصطلحات أحادية الدلالة، نظرا لما تتيحه التفكيكية من ممكنات دلالية يميزها التفاضل والتجدد الدلالي المستمر، كما يتوجب على المترجم أن يحذر الترجمة المزدوجة للمصطلحات التفكيكية، لأن

(جاك دريدا) نفسه فضل الدمج الأحادي للمصطلحات، وتخلى عن الترجمة الازدواجية، لذلك على المترجم أن يجتهد في إيجاد مصطلح دقيق وأحادي يكون بمقدوره استيعاب الدلالة المتشظية التي تقوم عليها التفكيكية، إلا أن هذا الأمر شبه مستحيل ومتناقض مع ما يؤمن به (جاك دريدا) من استحالة إيجاد ترجمة مقابلة للتفكيك في مختلف اللغات.

استمد مصطلح (الاختلاف Différance) ميزته الفريدة من تركيبته اللغوية التي خالف بها (جاك دريدا) الكتابة الأصل (Différence)، وهو تمايز يبدو واضحا بين الأحرف ance و ence، في حين أن مفهوم الاختلاف يتحدد لدى (جاك دريدا) كشيء ديناميكي لا يرتبط في اختلافه بالأشياء الأخرى المقابلة له، فهو اختلاف منبعث من دلالة الشيء ذاته أي بين الشيء الأصل وباقي نواسخه، ومثال ذلك (سافر= انتقل شخص من مكان إلى آخر) وفقا لمعناها، فإنها ستفتح المجال لتكون هنالك قراءات متعددة تعطي معنى مختلفا، لكنه لا يخرج عن دائرة مدلول الانتقال من مكان لآخر مثل (الهجرة، الرحلة، المغادرة، الغربة، الارتحال، الحرقة) وهي كلها ألفاظ تحمل معنى الانتقال بألفاظ مختلفة ومتعددة، دون أن تكون هذه الألفاظ ذات علاقة ضدية مع المعنى الأول، حيث يرينا (جاك دريدا) "بمحاكاة دياكلتية نوعا ما أن الأصلي لا يكون أصليا إلا بالاستناد إلى النسخة التالية له، التي يسود الزعم أنها تأتي لتنسخه وتكرره، ضامنة له بذلك حيازة تسمية الأصلي أو الأصل، لا يكون الأول أولا إلا بالاستناد، استنادا مؤسسا، أي يقيم في جوهر الأول نفسه بما هو أول نقول الاستناد إلى الثاني الذي يدعم ذلك الأول في أوليته" (دريدا جاك، 2000، ص 30)

يرى (جاك دريدا) أن مبدأ الإرجاء يكون مصحوبا بالانتظار ومنتجا للالتباس في الوقت نفسه، لأن إرجاء المعنى يتطلب من القارئ انتظار جملة من الممكنات الدلالية التي يتيحها النص عند قراءته، إلا أن طول الانتظار يولد التباسا لدى القارئ، ولتقريب المعنى يناقش (جاك دريدا) فلسفيا قصيدة "العملة الزائفة" (لبولدير) "حيث اتخذ (دريدا) من هذه القصيدة منطلقا لمناقشة قضية "العطاء" أو "الهبة" فلسفيا، متسائلا: هل ثمة عطاء حقيقي؟، كل عطاء ينتظر وعلى نحو ضمني المقابل، وهذا يعني أن كل عطاء هو أشبه بالدَّيْنِ، في حين أن الهبة الحقيقية تنفي منطق التبادل أو انتظار العاقبة، فهذا الانتظار لرد العطاء يجعل الهبة موقوتة أو مرجأة بانتظار صاحبها لمعادلها، وهنا يصبح الزمن شرطا لإمكان العطاء أو التبادل، وبهذا يصبح مفهوم الهبة ذاته ملتبسا" (دريدا جاك، 2008، ص 27)

يتضح من خلال هذا أن (الاختلاف والإرجاء والتأجيل) هي مبادئ مترابطة في ما بينها على نحو يصعب الفصل بينها، كما نتوصل بأن (جاك دريدا) يخالف في مبدأ الاختلاف والإرجاء ما قدمه (دي سوسير) حول الثنائيات الضدية، فالاختلاف لديه يتحدد من خلال طبيعة الأصل مع باقي نواسخه، وعليه يختلف المعنى باستمرار، لأن المدلول يكون في حالة من الإرجاء المستمر، فلا يثبت على دلالة واحدة ومستقرة، فهو في حالة من المراوغة والتأجيل المستمر بصورة لا نهائية.

35 الحضور والغياب:

إن التفكيكية ترفض أن يكون هنالك سلطة مركزية خارج النص، تتحدد من خلالها دلالة النص وتثبت معناه، وهذه السلطة تتمثل في ميتافيزيقا الحضور، التي تعني "وجود سلطة أو مركز حي يعطي الكلمات والكتابات والأفكار والأنساق معناها ويؤسس مصداقيتها، حيث إنّ اللغة خارج النص الأدبي أو داخله تكتسب مصداقيتها من إحالتها إلى المركز أو تلك السلطة الخارجية" (حمودة عبد العزيز، 1998، ص 330)

تسعى التفكيكية إلى خلخلة النص تقويضه، حتى يكون النص هشا، ويصبح معناه متحررا، فتزول قصدية دلالته لتحمل معنى مختلفا ومتجددا من قراءة لأخرى، استنادا لتحرير الدوال من المركز الخارجي الذي تقوم عليه، الذي يتجسد عبره مبدأ الحضور والغياب، ويتم ذلك عبر الشك "في وجود مركز، أي مركز مرجعي خارجي يعطي الأشياء شرعيتها ويمكن اللغة من الدلالة وبدلا من التقاليد التي يجب أن تدمر بعد أن حجبت الكينونة والنظام الخارجي الذي لم يعد له وجود في ظل غيبية المركز القادر على تثبيت الأشياء تؤكد استراتيجية التفكيك استحالة الحضور، فحضور ذلك المركز المحوري الخارجي داخل النص أو اللغة يرتبط دائما بالغياب، وتصبح المراوغة indeterminacy والغموض ambigüité والانتشار dissémination والبينصية ولا نهائية الدلالة هي أبرز سمات النص" (حمودة عبد العزيز، 1998، ص 331)

تقوم التفكيكية عند تقويضها لسلطة الحضور بعزل النص عن القوة الخارجية التي يرتكز عليها، فيصبح النص متحررا، لغياب المرجع الخارجي الذي كان يستند عليه، وعليه تصبح علامته اللغوية مشتتة، ومعناه متعددا، لأنّه يغيب ويحضر من قراءة لأخرى تبعا لمبدأ (الاختلاف Différance)، لأن الاختلاف يقوم "على فلسفة الحضور والغياب، بمعنى أن الدوال تحمل مدلولات تتعدد بالاختلاف، فيحضر هذا المعنى، ويغيب ذاك، وبهذا تتناسل الاختلافات وتتعدد المدلولات توالدا وتلاشيا وتأجيلا وتشتيتا، ويعني كل هذا أن ثمة وحدات تحضر ووحدات تغيب في الوقت نفسه، ويؤكد هذا انبناء فلسفة التفكيك على فلسفة التقويض، وآليات تشتيت المعاني وبعثرتها" (حمداوي جميل، 2011، ص 43- 44)

يسعى (جاك دريدا) من خلال مبدأ الحضور والغياب إلى زعزعة استقرار النص وخلخلة نظامه، من خلال تقويض مركزه، وهو ما يحدث صدعا داخل بنية النص، ويجعل معناه متحررا ومنتشرا، حيث يعد هذا المبدأ من أهم المبادئ التي تقوم عليها التفكيكية عند قراءة النصوص وتقويضها، ويسمح غياب مبدأ الحضور بتحرر معنى النص بصورة لا نهائية ومتجددة من قراءة لأخرى.

خاتمة:

إن التفكيكية تعد مقاربة نقدية معقدة في قراءة النصوص وتقويضها، فهي تقوم في المرة الأولى بالتشكيك في اليقينيات المنطقية التي يتمثلها الفكر الغربي، ثم تقوم بخلخلة النص عبر البحث في البنية الهشة والمضطربة فيه، ثم بعد ذلك تقوض دلالة النص من خلال تبيان التناقض القائم بين المعنى الظاهر والمعنى المضمر، حيث يمثل المعنى المضمر من منظور التفكيكية المعنى الحق للنص، وهو قابل للتجديد باستمرار مع تجدد فعل القراءة.

- التفكيكية تقوم بالأساس على سرمدية المعنى الذي لا نهاية له، فكل معنى جديد هو متولد عن قراءة متجددة وكل قراءة إساءة لمعنى قديم وإنتاج لمعنى آخر باستمرار.

تقوم التفكيكية على جملة من الآليات النقدية التي خالف من خلالها دريدا لسانيات (دي سوسير) حول العلامة اللغوية والمعنى، ذلك أن (جاك دريدا) يرى في أن الأسبقية للمكتوب على الصوت، وأن المعنى متعدد ولا نهائي، ولا يمكن أن يكون هنالك معنى أحادي للنص، لأنّ (جاك دريدا) يركز على المدلول على حساب الدال أي يهتم بالمضمر على حساب الظاهر، ويرى بأن المعنى قابل للتجديد بصورة لا نهائية مع تجدد فعل القراءة.

إن التفكيكية شجعت على ممارسة فعل القراءة المتجددة للنص، وعملت على تحرير النص من القصدية التي ارتكزت عليها البنيوية في النقد الحداثي، فقد أعادت التفكيكية للقارئ دوره في قراءة النص، بعدما همشته المناهج السابقة، فلم يعد دور القارئ لدى التفكيكية يقتصر على تفسير النص، بل صار دوره يرتكز على ممارسة فعل القراءة المتجددة للنص، من أجل إعادة كتابته بمعنى لا نهائي، حيث تكون كل قراءة جديدة لديه إساءة لقراءة سابقة.

إن الرؤية النقدية التي تبالغ في نسبة التفكيكية للنقد الألماني، هي رؤية قاصرة لأنّها تغفل دور المثاقفة النقدية (تأثر وتأثير)، التي استطاع من خلالها (جاك دريدا) أن يُخْرِجَ التفكيكية إلى العلن، بعدّها واحدة من أهم النظريات النقدية إثارة للجدل في ما بعد البنيوية، لما حملته من مبادئ نقدية تقويضية، وهي نفس الرؤية النقدية التي دفعت بالتفكيكية إلى الانتقال من الساحة النقدية الأوربية إلى الساحة النقديّة الأمريكية.

إن التلقي المتأخر للنقد العربي للتفكيكية أفضل بكثير من عدم تأثره فيها، لأنه رغم التأخر في تلقيها نقديا، إلا أن النقاد سرعان ما تجاوبوا مع النقد التفكيكي ترجمة وتنظيرا، وفي الجانب التطبيقي الذي ينتهج فيه النقاد التفكيكية كمقاربة لقراءة النصوص الأدبية العربية وتقويضها نلمس وجود تقدم تصاعدي في إقبال النقاد على تطبيق التفكيكية، رغم أن بعض النقاد العرب ما يزالون منشغلين بالنقد الحداثي النسقي في صورة النقد البنيوي، وهو ما عطل مسايرة النقد العربي للنقد الغربي في قضية انتهاج التفكيكية كمقاربة نقدية لقراءة الأدب العربي بكل مراحله وأنواعه وتقويض بناءه النصي.

المصادر والمراجع

آبادي، ف. (2008). القاموس المحيط، تحقيق شامي محمد، جابر زكرياء أحمد، القاهرة، دار الحديث.

ابن، م. (1999). لسان العرب، ط3، تصحيح أمين عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، بيروت، دار إحياء التراث.

بن سويكي، ي. (2008). استراتيجية الخطاب النقدي عند عبدالله الغذامي، جامعة منتوري، قسنطينة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير.

بنعبد العالي، ع، (1991). أسس الفكر الفلسفي المعاصر، ط1، المغرب، دار توبقال.

حجازي، س. (2001). قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، ط1، القاهرة، دار الآفاق العربية.

حمداوي، ج. (2011م). نظريات النقد الأدبي والبلاغة في مرحلة ما بعد الحداثة، المغرب، شبكة ألوكة.

حمودة، ع. (1998م). المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، الكويت، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب.

دريدا، ج. (2000م). الكتابة والاختلاف، ط2، ترجمة: كاظم جهاد، الدار البيضاء، المغرب، دار توبقال للنشر.

دريدا، ج. (2008). علم الكتابة، ط2، ترجمة: مغيث أنور، طلبة منى، القاهرة، المركز القومي للترجمة.

دريدا، ج. (2013م). استراتيجية تفكيك الميتافيزيقا حول الجامعة والسلطة والعنف والعقل والجنون والاختلاف والترجمة واللغة، ترجمة: الخطابي عز الدين، الدار البيضاء، المغرب، إفريقيا الشرق.

ديفيد، ب. (1996). نظرية الأدب المعاصر قراءة الشعر، ترجمة: عبد المقصود عبد الكريم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الرويلي، م. البازغي، س. (2002م). دليل الناقد الأدبي، ط3، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي.

عبابنة، س. (2015). التفكيكية وقراءة الأدب العربي القديم عبد الفتاح كيليطو أنموذجا، المجلد 42، ملحق1، الجامعة الأردنية، الأردن، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية.

عطية، أ. (2010م). جاك دريدا والتفكيك، ط1، بيروت، لبنان، دار الفرابي.

علوش، س. (1985). معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة عرض وتقديم وترجمة، بيروت، دار الكتاب اللبناني.

الغذامي، ع. (1998م). الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، ط4، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

كريستوفر، ن، (1989م). التفكيكية النظرية والممارسة، ترجمة: صبري محمد حسن، الرياض، المملكة العربية السعودية، دار المريخ.

مجمع، ل. (2005). القاموس الوسيط، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية.

معرف، م. (2014). اللغة وفلسفة التواصل بين فينولوجية هوسيرل وتفكيكية دريدا مقاربة تحليلية وصفية، جامعة وهران، الجزائر، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في الفلسفة.

وغليسي، ي. (2010م). مناهج النقد الأدبي مفاهيمها وأسسها، تاريخها وروادها، وتطبيقاتها العربية، ط3، المحمدية، الجزائر، دار جسور للنشر والتوزيع.

يقطين، س. دراج، ف. (2003م). آفاق نقد عربي معاصر، ط1، دمشق، سوريا، دار الفكر.

References

Ababneh, S. (2015). Deconstructing and reading ancient Arabic literature, Abdel-Fattah Kelaito as a model, Volume 42, Appendix 1, University of Jordan, Jordan, Journal of Humanities and Social Sciences Studies.

Abadi, F. (2008). The surrounding dictionary, Shami Muhammad investigation, Jaber Zakaria Ahmed, Cairo, Dar Al-Hadith

Alloush, S. (1985). A Dictionary of Contemporary Literary Terms Presented, presented and translated, Beirut, Dar Al-Kitab Al-Libnani.

Al-Ruwaili, M. Bazghi, S. (2002). Literary Critic Handbook, Casablanca, Morocco, Arab Cultural Center.

Al-Thaghami, P. (1998 AD). Sin and penance from structuralism to the anatomical, 4th edition, Egypt, Egyptian General Book Authority.

Attia, A. (2010). Jacques Derrida and Disassembly, Beirut, Lebanon, Dar Al-Farabi.

Ben Soueki, y. (2008). The strategy of critical speech by Abdullah Al-Ghazami, University of Mentouri, Constantine, memo to obtain a master's degree.

Bin Abd Al-Aali, A., (1991). The foundations of contemporary philosophical thought, Morocco, Dar Toubkal.

Christopher, N., (1989 AD). Theoretical deconstruction and practice, translation: Sabri Muhammad Hassan, Riyadh, Saudi Arabia, Dar Al-Merreikh.

Complex, l. (2005). The Intermediate Dictionary, Cairo, Shorouk International Library.

David, b. (1996). Theory of Contemporary Literature Reading poetry, translation: Abdel-Maksoud Abdel-Karim, Cairo, the Egyptian General Book Authority.

Derrida, C. (2000 AD). Writing and difference, 2nd edition, translation: Kazem Jihad, Casablanca, Morocco, Toubkal Publishing House.

Derrida, C. (2008). The science of writing, 2nd edition, translation: Magith Anwar, Mona students, Cairo, the National Center for Translation.

Derrida, C. (2013 AD). The strategy of dismantling metaphysics about university, power, violence, reason, madness, difference, translation and language, translation: Khattabi Izz al-Din, Casablanca, Morocco, East Africa.

Glissey, J. (2010). Literary criticism approaches, concepts and foundations, history and pioneers, and its Arab applications, 3rd floor, Muhammadiyah, Algeria, Dar Jusour for publication and distribution.

Hamdawi, C. (2011 AD). Theories of literary criticism and rhetoric in postmodernism, Morocco, Aluka Network.

Hammouda, P. (1998 AD). Convex mirrors from structuralism to deconstruction, Kuwait, High Council for Culture, Arts and Letters.

Hegazy, S. (2001). Dictionary of Contemporary Literary Criticism, First Edition, Cairo, Arab Horizons House.__ Hamdawi, c. (2011 AD). Theories of literary criticism and rhetoric in postmodernism, Morocco, Aluka Network.

Id, M. (2014). Language and the philosophy of communication between Husserl's physiology and Derrida's deconstructive analytical and descriptive approach, University of Oran, Algeria, thesis for a doctorate in science philosophy.

Pumpkin, S. Phrage, F. (2003 AD). Prospects for Contemporary Arab Criticism, Damascus, Syria, Dar Al-Fikr.

Son, M. (1999). Tongue of the Arabs, 3rd edition, Correction of Amin Abd al-Wahhab, Muhammad al-Sadiq al-Ubaidi, Beirut, Heritage Revival House.